المحاضرة الثانية:السياسة التعليمية الإستعمارية ما بين 1870-1914

عرفت هذه المرحلة تولي الجمهورية الثالثة الحكم سنة 1870 وحلّ الحكم المدني محل الحكم العسكري، وعرفت الجزائر تطورات بعد ثورة المقراني 1871، وهو ما اضطرّ الإدارة الإستعمارية إلى غلق المدارس العربية الفرنسية بعذر أنّ تلامذتها من المشاركين في هذه الثورة، وتغير الإهتمام بالتعليم بإلغاء التعليم المشترك العربي الفرنسي والتوجه نحو نظام تعليمي علماني، واشتهر في هذا الجانب **جول فيري**(1832-1893) الذي تولّى الإشراف على التعليم بمنصب وزير، وأصدر مجموعة من القوانين التي صبغت التعليم بطابع حرّ ومجاني وإلزامي، ويمكن تقسيم ذلك حسب الأطوار:

1- التعليم الابتدائي:

قام جول فيري ببعض التعديلات التي تنص على إجبارية التعليم الإبتدائي بصدور قانون مارس1882 وتحديد مجالات التدريس المشتملة على التعليم الأخلاقي والمدني والقراءة والكتابة والتاريخ والجغرافيا الخاص بفرنسا إضافة إلى مفاهيم قانونية واقتصادية ومبادئ الحساب والفيزياء، ولتجسيد هذا القانون تم تخصيص ميزانية لبناء 15 مدرسة ابتدائية خاصة وعمومية، غير أنّ تجسيدها واجه صعوبات؛ فاستفادت المدن من بناء المدارس مقارنة بالأرياف والقرى، وواجهت هذه التجربة الفشل بسبب الكلفة الباهضة لإنجازها[1].

وبقي التعليم يعاني إلى أن جاء مرسوم 1883 الذي نصّ على تأسيس المدارس الإبتدائية في مختلف البلديات لاستقبال الجزائريين والأوروبيين، وتم استكمال هذا المرسوم بمرسوم ثاني بتاريخ 01 فيفري 1885وثالث في 30 أكتوبر 1886 وكلاهما ينصّ على تأسيس مدارس تحضيرية وأقسام للطفولة، ومدارس رئيسية، ومدارس تكوين مهني، وهذه القوانين التي تمّ إصدارها تندرج ضمن التوجه الإدماجي من خلال التأكيد على إجبارية التعليم على الأطفال الأوروبيين، وتأسيس مدرسة واحدة في كل بلدية عمومية على الأقل تخص البنات والبنين الذين تتراوح أعمارهم ما بين السادسة والثالثة عشر، وبالنسبة للأهالي فلم يكن إجباريا، في إطار سياسة تعليمية تراعي إخضاع التعليم للإدارة الإستعمارية، ومشروع تعليمي استعماري يدعم فكرة مكانة فرنسا العلمية والتأكيد على مبادئ العلم الأروبي[2].

ويبدو أنّ هذه المشاريع واجهت صعوبة في تنفيذها نظرا للأموال التي تتطلبها إضافة إلى المعارضة من طرف المستوطنين وبعض البرلمانيين ورغم ذلك فإنّ

---

[1].روبير أجرون، المرجع السابق، ص 113..

[2].Fanny Colonna, instituteurs Algriens 1883-1939; presses de la foundation nationale des sciences politique ,paris, 1979, p40.

الإحصائيات تشير إلى أن عدد المدارس المنجزة سنة 1887 قدر بـ 86 مدرسة يتردد عليها ما بين 7000 إلى 9000 تلميذ، وفي سنة 1892 قدر عددها بـ 124 مدرسة يترد عليها 12.263 تلميذ وتحت إشراف218 معلم[3].

2- التعليم الثانوي:

وجدت في الجزائر ثلاث ثانويات بالعاصمة وقسنطينة ووهران إضافة إلى مدارس أخرى تتشابه مع الثانويات من نوع (كوليج) تقع في البليدة المدية مستغانم تلمسان عنابة سكيكدة سطيف سيدي بلعباس، وعشر مدارس ثانوية حرة أوروبية، وثلاث ليسيات للبنات بالجزائر وقسنطينة ووهران وكوليج بلدي في عنابة وسكيكدة وهذا التعليم متاح للمسلمين لكن ليس مجاني والعربية فيه ضئيلة والتعليم الإسلامي مقدر بساعات معدودة وبثمن قدره 120 فرنك في السنة والإدارة هي التي تختار المدرس، كما أنّ الأهالي كانوا يدرسون في مدارس خاصة، والإقبال عليه كان تدريجيا خاصة وأنّ الإمكانيات المادية للسكان قليلة أمام ارتفاع أجرة التعليم الثانوي[4].

وقد ألغى مرسوم 28 أكتوبر 1870 المعاهد العربية الفرنسية وألحق طلابها بثانوية العاصمة ومعهد قسنطينة مع فصل التلاميذ الجزائريين عن الأوروبيين، وبوصول المدنيين إلى الحكم تقلص عدد الطلاب، ومن نتائج ثورة 1871 إغلاق معهد الفنون والحرف بـ**فورنا سيونال** (منطقة القبائل)، وأمام التراجع الذي عرفه الإهتمام بالتعليم الثانوي، ورغبة المعمرين تهميش تعليم الأهالي، واجهت الإدارة الإستعمارية صعوبات في استقطاب التلاميذ فبناء على إحصائيات قبل 1900 فإن عدد التلاميذ في الطور الثانوي بلغ 84 تلميذا مسلما، وقبل سنة 1914 بلغ عددهم 150 تلميذ[5].

- التعليم العالي:

اهتمّت الإدارة الإستعمارية بالتعليم العالي في الخمسينيات من القرن التاسع عشر بإنشاء مدرسة تحضيرية في الطب والصيدلة سنة 1857 على يد المارشال راندون، وأعقبها إصدار قرار20 ديسمبر 1879 الذي نص على إنشاء مدارس للتعليم العالي بالجزائر منها **المدرسة العليا للطب لتكوين** أطباء وممرضين جزائريين يعالجون المستوطنين، إلى جانب **المدرسة العليا للآداب** هدفها تشجيع وتطوير الدراسات الإستشراقية بالجزائر،كانت تدرس فيها الفلسفة واللغة الفرنسية وآدابها، اللغات القديمة والآداب واللغات الأجنبية والتاريخ، وكان معظم الطلاب أوروبيون وأقلية جزائرية، واختصّت **المدرسة العليا للعلوم** بتدريس الرياضيات

---

[3].أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3،دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998، ص 343.

[4].توفيق المدني، كتاب الجزائر،ص 296.

[5].شارل روبير أجرون، المصدر السابق،ص 113.

الميكانيك الفيزياء الكيمياء علم الحيوان والنبات، علم المعادن والفلك والجيولوجيا، **والمدرسة العليا للحقوق:التي تأسست سنة** 1879 هدفها تطوير الدراسات القانونية وتدريس القانون المدني الفرنسي، ويتوّج الطلبة بشهادة الليسانس بعد إجرائهم الإمتحانات، إلى جانب دبلومات في الكفاءة والمحاماة وكتابة الضبط ودبلوم محضر قضائي[6].

وظلّت هذه المدارس تحضيرية من أجل الإلتحاق بالجامعات الفرنسية إلى غاية إنشاء جامعة الجزائر وفق قانون 30 ديسمبر 1909 الذي تحولت معه المدارس المذكورة إلى كليات، وكانت جامعة الجزائر تضاهي في مستواها العلمي جامعة باريس من حيث البرامج والتخصصات وشهادات التخرج، لكن نسبة الوطنيين فيها ضئيلة حيث تواجدت بها أقلية جزائرية، وحسب الإحصائيات فقد بلغ عدد الطلبة الجزائريين في حدود سنة 1914 حوالي 54 طالب بمختلف الكليات، وخلال هذه السنة تخرج من جامعة الجزائر 34 مسلم حاصل على البكالوريا و12 مجازا[7].

[6].خلوفي بغداد، التعليم العالي بالجزائر أثناء الحقبة الإستعمارية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، العدد10، جامعة معسكر، ديسمبر 2015،ص 168.

[7]. روبير أجرون، المصدر السابق،ص 114.